

مصطلح الحجاج واستراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب القرآني

د. مصطفى بن عطية جامعة المسيلة

أ.د. محمد زهار جامعة المسيلة

الملخص بالعربية :

يعد الحجاج من أهم الأدوات الإجرائية والأنماط النصية في عملية التواصل اللغوي الذي يقوم على مبدأ الحوار والإقناع والبرهنة والاستدلال - وقد أصّلت كتبُ التراثين العربي والغربي هذا المبحث الفني؛ حيث برزت فيه الكتابة حول الجدل والخطابة وطرائق الاحتجاج والاستدلال في الدراسات المعاصرة. ومن منطلق أنّ اللغة وسيلة للتبليغ والتواصل فقد عالج البلاغيون الاحتجاج بأسلوب تقريرية، من خلال طرح الأفكار والبرهنة عليها، وتحاول هذه الورقة استكشاف طرائق الإثبات والبرهنة من خلال موضوعات حوارية في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج-التأثير -البلاغة- التواصل -التداولية- البلاغة الجديدة- الحوار -التفاعل.

الترجمة إلى اللغة الأجنبية:

Résumé:

L'argumentation est considérée comme l'un des outils procéduraux et l'un des types de textes les plus importants qui contribuent à la réussite du processus de communication linguistique qui s'appuie à son tour sur plusieurs moyens d'expression et de formes du discours tels que le dialogue, la persuasion, la démonstration et la déduction .

En fait, nous trouvons mention de ce thème de recherche dans plusieurs écrits du patrimoine langagier arabe et occidental mais les études contemporaines l'ont encore beaucoup enrichi en mettant en relief notamment la dialectique, l'art oratoire, les méthodes d'argumentation et la déduction.

En partant du principe que la langue est un moyen de communication, les rhétoriciens ont traité l'argumentation en tant que style assertorique en proposant des idées et en démontrant la véracité.

À travers cette étude, nous essayons par l'analyse d'un nombre de dialogues puisés dans le saint Coran de mettre en évidence les méthodes de démonstration et d'argumentation les plus efficaces .

Mots clés :

Argumentation -influence -rhétorique –communication –pragmatique -nouvelle rhétorique –dialogue -interaction.

يُعَدُّ الحِجَاجُ مِنْ أَهَمِّ الأَدَوَاتِ الإِجْرَائِيَّةِ فِي تَحْلِيلِ الخُطَابَاتِ والأنماط النصية في عملية التواصل اللغوي، الذي يقوم على مبدأ الحوار، والإقناع والبرهنة والاستدلال - وقد أصَلَّتْ كُتُبُ الأَوَّلِينَ فِي التُّرَاثَيْنِ العَرَبِيِّ والغَرِبِيِّ مصطلح الحجاج؛ حيث ظهر مع الحضارة اليونانية بفضل جهود أرسطو وذلك منذ العصر اليوناني الذي برزت فيه الكتابة حول الجدَل والخطابة وطرائق الاحتجاج والاستدلال نظرا لتناثر السفسطة الذي ساد المجتمع اليوناني آنذاك¹. وقد اقترن مفهومه بمباحث الخطابة والحجاج الخطابي "وهو من قبيل ما عرض له أرسطو في كتاب الخطابة فهو حجاج موجّه إذا إلى جمهور ذي أوضاع خاصة، في مقامات خاصة.

والحجاج ههنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات وإلى إرضاء الجمهور واستمالاته حتى ولو كان ذلك بمغالطته وخداعه وإيهامه بصحة الواقع"²، فالحجاج بهذا المفهوم متعدد الاتجاهات في التأثير بين إقناع العقل واستمالة القلب وإلهاب العواطف وإثارة الانفعال.

وقد برزت الكتابة عند العرب حول الجدَل والخطابة وطرائق الاحتجاج والاستدلال كـ "البرهان في علوم القرآن" للزركشي و "تفسير الكشاف" للزمخشريّ و "مفاتيح الغيب" للرازي و تفسير ابن كثير. وقد انضم إليها بعد ذلك كثير من الدراسات المعاصرة كالتحرير والتنوير للعلامة الطاهر بن عاشور والتواصل والحجاج لطفه عبد الرحمن ونظريات الحجاج في التقاليد العربية لعبد القادر المهيري، وغيرها من الدراسات الأكاديمية الأخرى التي بعجت اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب والبلاغة الجديدة.

واللغة بحكم إنها وسيلة للتبليغ والتواصل فقد جاءت الدراسات فيها بأسلوب تقريرى من خلال طرح الأفكار والبرهنة عليها ودحض الآراء الخاطئة حيث قال الله تعالى: (هَآ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) آل عمران 66

وفي الآية "...إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم برّد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال: (والله يعلم وأنتم لا تعلمون)"³ الآية 66 آل عمران؛ أي إنكم لم تقدّموا الحجة والدليل والبرهان ولا تملكون قدرات ومهارات الإقناع ولم تعزّزوا رأيكم بالحجة والدليل العقلي، لذا فقد اشترط لصحة الحجاج سلامة الرأي ورجحان العقل بالدليل من الواقع وما يوافق المنطق.

والنص القرآني كونه مادة لغوية تواصلية يقوم على الحجاج والإقناع فقد أنزله الله بعربية فصيحة لهذه الغاية قال الله تعالى: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) الشعراء 185 وأنزله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ليحدث أثرا في من يتلقونه قال تعالى: (عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) الشعراء 194 فكان نتاج ذلك هداية البشرية وإخراجها من الوثنية إلى التوحيد بأسلوب حوارى في قمة الحضارة مراعى فيه حرية الخلق قال تعالى: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) يونس 99 .

ومن هنا حق لنا أن نردّد مقولة الزركشي واصفا القرآن الكريم على أنه "العصمة الواقية والنعمة الباقية والحجة البالغة، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته في كلّ مَقُول"⁴. لذلك جندت جهود المتخصصين في كشف مواطن الإعجاز فيه، وتجلّى تقنيات الإقناع وأدواته الإجرائية وذلك بالاستفادة من النظريات اللسانية والأسلوبية الغربية⁵. وتعد نظرية التحليل المحادثاتي والحوارى من أهم النظريات اللسانية التي سلّطت الضوء على أهمية تحليل الملفوظ من منطلقات لسانية وتداولية، والاهتمام أكثر بالتراكيب ودرجة التفاعل، ونظرية أفعال الكلام، وتقنيات الحجاج وغيرها⁶.

وقد أكد الباحث طه عبد الرحمن على النزعة التداولية لمصطلح الحجاج فقال: "وَحَدُّ الْحِجَاجِ أَنَّهُ فَعَالِيَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ جَدَلِيَّةٌ، فَهُوَ تَدَاوُلِيٌّ لِأَنَّ طَابِعَهُ الْفِكْرِيَّ مَقَامِيٍّ وَاجْتِمَاعِيٍّ، إِذْ يَأْخُذُ بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ مَقْتَضِيَّاتِ الْحَالِ مِنْ مَعَارِفٍ مَشْتَرَكَةٍ وَمَطَالِبِ إِخْبَارِيَّةٍ وَتَوَجُّهَاتٍ ظَرْفِيَّةٍ، وَيَهْدَفُ إِلَى الْإِشْتِرَاقِ جَمَاعِيًّا فِي إِنْشَاءِ مَعْرِفَةٍ

عملية، إنشاء موجهها بقدر الحاجة...⁷ ويبرز الباحث هنا نزعة تداولية لفعل الحجاج على أساس أنه فعل كلامي وليس مجرد نشاط لغوي.

ويضيف إلى ذلك مشاركة المخاطب في تعديل وتفكيك الشفرة الكلامية إلى معانيها المقصودة و في هذه الحال يقصد "أن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها، تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا أو إنكارا كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم"⁸ وهو المنحى نفسه تقريبا الذي بادر إليه الباحثان برلمان وتيتيكاه في كتابهما: (مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة) حيث يعرف المؤلفان موضوع نظرية الحجاج بقولهما: موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن يزيد في درجة ذلك التسليم"⁹

استراتيجية الحجاج والتحليل التداولي:

إنّ الإنتاج اللغوي الذي يمارسه المتكلم أثناء الاستعمال من أهم انشغالات الدارسين في مجال الدرس اللساني التداولي ونظرية أفعال الكلام وتحليل الخطاب. فالمحادثة والحوار إنما هما سلوك يمثل نشاطا تفاعليا بين المتخاطبين، فهو في نظر مدرسة جنيف محصلة سلوكية ثرية من منظورها الاجتماعي والنفسي والفلسفي، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك حيث قال : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) سورة الضحى¹¹ أي؛ يا أيها النبي بَلِّغْ و حَدِّثْ الناس بالنبوة وهي من أجل النعم¹⁰.

وقد انصب التحليل التداولي على أفعال الكلام بغرض تثمين وظيفة اللغة التواصلية، التي تقوم على الإخبار ووصف العالم الخارجي. لذلك كانت إسهامات مدرسة جنيف اللسانية في الدفاع عن الوظيفة الحجاجية لأي نشاط كلامي واضحة ومبرزة المكانة المميزة للمتخاطبين وتوجيه الدلالات مستعينة بالتأويل كرافد مهم في استنطاق التخاطبات الكلامية. فإذا كان الفكر اللغوي الغربي الأول قد عزل اللغة عن الاستعمال، و اقتصرت مختلف نظرياته في تحديد وتفسير بعض المكوّنات الإشارية التي تستند على السياق¹¹، فإنّ مدرسة جنيف قد جاءت كردّ فعل لبيان مقاصد الكلام، لأنّ قوّة الرابط الحجاجي في تغيير دلالة الملفوظ اللغوي، يفرض على المتكلم توجيه التأويل مع ضبط القدرات والمرجعيات المعرفية أثناء العملية التواصلية¹²، وما يتبعه من اكتشاف الدلالات المتضمنة حركية اللغة لصناعة المعاني الجديدة¹³. وإذا كان تحليل الخطاب ينطلق من إشكالية لسانية، ويعتمد على تحليل النصوص مراعيًا السياقات، فإنّ مدرسة جنيف انطلقت في تحليل الخطاب التداولي من نظرية الحجاج، و تحليل بنية المحادثة كونها لا

تقتصر فقط على الافتتاح، والموضوع، والاختتام، و تناوب الأدوار، إنّما هناك مكونات دقيقة في عملية تأويل المقولات، والملفوظات، أي دراسة الوقائع الحجاجية، والخطابية المناسبة لتحليل بنيتي التدخل، والتبادل في المحادثة، مما يستلزم أثناء تحليل الحوار الارتكاز على الجانبين البنيوي وكذا الوظيفي للغة، و أيضا الجانب الديناميكي الذي يساهم في عملية إنهاء واستمرار التفاعل انطلاقا من شروط وضوابط تفرضها المكونات ذات طبيعة تفاعلية لضمان تحقيق التواصل بين المتخاطبين أي تقنية حجاجية تعتمد الإقناع والتأثير واستمالة العقول وكسب ثقة السّامع¹⁴. وهذا ما يؤيده مذهب كل من (برلمان وتيتيكا) في تعريفهما للحجاج "أنّ العمل الحاصل بواسطة الحجاج على صعيد العقل، وهو عمل التأثير النظري والإذعان والتسليم (وهو غاية الجدل عادة) مؤدّ إلى العمل السلوكي الذي كانت من جملة مصادره في منظور الخطابة العاطفة الملهبة للمشاعر الجياشة، ومعنى ذلك أن العمل المترتب على الحجاج ليس مُتوسّلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناوره، وإنما هو عمل هيا له العقل والتدبر والنظر. وهكذا تكون قوى الإنسان (العقل والهوى) عندهما قوى متضامنة متفاعلة لا قوى منعزلا بعضها عن بعض"¹⁵

والخلاصة فإنّ لغة أي القرآن الكريم هي اللغة المتداولة في عهد النبيّ بين أفراد شبه الجزيرة العربية، مجسّدة مختلف الأعراف الاجتماعية، والنفسية وحتى الثقافية، ومسجّلة عديد الوقائع التاريخية؛ أي أنّ القرآن الكريم هو بناءٌ يقوم على استراتيجية الحوار والمحادثة؛ القائمة بين المتكلم وهو (الله) أو (الأنبياء) والسّامع وهم (العباد)، مجسّدا مختلف توجيهات الأنبياء على اختلاف عصورهم وثقافات شعوبهم، ويؤسّس لمبدأ التوحيد ونبذ الوثنيّة وإخراج الناس من ظلمة الشرك إلى نور الوجدانية. وستحاول هذه الورقة تحليل بعض البنى التركيبية الحجاجية الواردة في ثنايا الآي القرآني لاستنتاج الملفوظات الإقناعية ومدى تفاعل الذات المتكلّمة باعتبارها الحامل للوظيفة التفاعلية، ومن ثمّ الوقوف عند الأثر البلاغي في تحقيق الإقناع، كونه ينحو إلى إحداث أثر، وتحقيق أهدافٍ طرّف على حساب طرف آخر حيث يلاحظ أثناء تحليل النصوص القرآنية أن نظاما من الاسترسالات في التفاعل بين المخاطبين يشكّل تدخلات تضمن البعد التواصلية، والتداولية، والحجاجية في الخطابات القرآنية، ومن فضل الله في هذا الدّين أنه جعل مسألة الإقناع والتأثير به على المدعوين إليه مسألة لا تناقض الفطرة السويّة، ولا تخالف العقول الصحيحة ، بل تركيها وتوجّهها بأسهل طريقٍ وأقوَم حُجّة وأوضح دلالة، وبناء ذلك كله على رغبة الخير والنصح للناس.

الحوار كوظيفة تفاعلية:

أجمعت الدراسات البلاغية التراثية وكذا المعاصرة على أن الخطاب القرآني رسالة موجهة للناس وخطاب إبلاغي يقتضي الحوار ويقوم فيه الإقناع على تفاعل المتخاطبين¹⁶، فمثلا مشهد سيدنا إبراهيم مع النمرود كما تلخصه النصوص القرآنية في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) البقرة 258، أحواره التفاعلي المطول مع أبيه في قوله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي فَقَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَفِيًّا فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) مريم 41-50 أو حوار المونولوجي مع الكواكب ممثلا في قوله تعالى: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ) الأنعام 76 وقوله للقمر: (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي) الأنعام 76 وقوله للشمس أيضا: فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ) الأنعام 76، ففي كل مرة يكرّر لبطلان الحجة (هَذَا رَبِّي)، معتمدا في كل موقف كلامي على إقامة البرهان، والتأثير، وكذا ثقته بعدم الاستسلام للكفر ودحض الباطل حين قال: (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)، وبعد رفض الاستجابة دعا إبراهيم لأبيه فقال: (سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي)، حيث لعبت العوامل النفسية والتربوية الدور الأساس في إقناع الأب والتأثير عليه وهو في قمة النضج العاطفي والعقلي، وهي السمة التي تفرّد بها خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام.

خصائص الإقناع واستراتيجية التأثير:

أثبتت البحوث والدراسات المعاصرة في مجال البحث اللساني و التداولي أن موضوع الإقناع يركز على مجموعة من المبادئ سنحاول تلخيصها في النقاط الآتية :

1-مباشرة الأفكار المشتركة والمتفق عليها فإنّ التدرج في الإقناع والتأثير ينتج كسراً للحواجز المتوقعة¹⁷ عند المدعو تجاه الداعية وموضوعه، ودليل ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جَذَآءًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَلَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) الأنبياء 51-70.

2- التدرج في الإقناع والتأثير وقبول التجاوب الذي نلمسه عند المتلقي والتعامل مع ذلك بتفاؤل وحكمة¹⁸ باعتبار ذلك تدرجاً في الدعوة إلى الحق في قوله تعالى يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. مريم. 42، و مجسدة في قوله تعالى " وَيَا قَوْمِي مَالِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ " غافر 41-42.

3- الإقناع بمنطق الفطرة التي فطر الله الخلق عليها فهو موجود منذ الأزل، قال تعالى: " قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ". القرة 38 وفي ذلك إشارة إلى التكليف إقناع و تكريس رسالة الرسل و الدعوة إلى توحيد عبادة الله بالنظر إلى محتوى النصوص القرآنية فإننا نلمس مخاطبة العقل البشري، واستثارة عاطفته لإلزامه بالامتثال لأوامر الله المليئة بالبراهين والحجج ،والاستدلالات بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى¹⁹، كقوله تعالى وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ

فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (الأنعام/74-81).

4- الإقناع وصلته بالحجاج:

الاستراتيجية الإقناعية خطابية في وظيفتها التبليغية؛ فالحجاج هو السمة الظاهرة التي نحكم من خلالها لى إقناعية الخطاب، فالحجاج يقوم على جمع الأدلة لإثبات الحجج.

أما الدافع وراء لجوء المرسل إلى استعمال الحجج والأدلة الإقناعية فهو محل الاختلاف بين المرسل والمتلقي فيكون حجاجه يتمحور حول الإقناع، فكل منطوق موجه للمتلقي بدعوى الإفهام والتأثير²⁰.

فالحجاج يتجسد إذا في نطاق اللغة وقائم في دراستها دون البحث فيما يحيطها من ظروف ليؤدي إلى التسليم بمحتوى الخطاب²¹.

و الخلاصة أنَّ الإقناع هو تقنية يتم بناؤها باللغة الفصيحة السلسة، والتدرج المنطقي لاستمالة عقول وقلوب المتلقين وذلك يتطلب انسجاما متكاملًا لتحقيق الغرض، ويعزز انتماء الاستراتيجية الإقناعية، والكفاءة التداولية في الخطاب القرآني، الذي ما يزال حقلًا خصبا لمختلف النظريات اللسانية المعاصرة، وهذا ما تنحوه مدرسة جنيف و تطمح لتجسيده.

- ¹ العيساوي خليفة، الوصائل و تحليل المحادثة دراسة في استراتيجيات الخطاب ، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2012 ، ص21، وعشير عبد السلام، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية، ط1، إفريقيا المشرق والمغرب، 2006، ص124.
- ² عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، دار الفارابي، بيروت لبنان، 2007، ص18.
- ³ عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم، أحمد شاكر، دار الوفاء، ط2، جمهورية مصر العربية، 2005، ج1، ص381.
- ⁴ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006، ص15.
- ⁵ محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، ط1، إفريقيا الشرق والغرب، المغرب، 2009، ص29.
- ⁶ حباشة صابر، التداولية والحجاج، ط1، سوريا، 2008، ص32، وينظر دراسات الباحثين:
- Bachman christnian, language et communication sociale, édition Dédier, Paris, 1991.
- Charoudeaux patrick, analyse du discours, édition du seuil, Paris, 2002.
- ⁷ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص65.
- ⁸ طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص65.
- ⁹ Chaim Perelman et Lucie-Olbrechts-Tytica : Traité de l'argumentation – la nouvelle rhétorique . Préface de Michel Meyer – 5^{ème} édition . Edition de l'université de Bruxelles 1992. Page 59.
- ¹⁰ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح د ث)، دار الفكر، بيروت، 2008، ص672.
- ¹¹ بلانشيه فيليب، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: حباشة صابر، ط1، دار الحوار للنشر، سوريا، 2007، ص133. و بوجادي خليفة، اللسانيات التداولية، ط1، دار الحكمة، الجزائر، 2009، ص69.
- ¹² خليفة العيساوي، الوصائل في تحليل المحادثة، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2012، ص179. -عبد الرحمن طه، التواصل والحجاج والتكوثر العقلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الدروس الافتتاحية، 1993-1994، ص65.
- ¹³ الجابري محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ج1، في التعريف بالقرآن، ط1، بيروت، 2006، ص312. ومحمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2002.
- ¹⁴ نجمة زقور، البنية الحجاجية في قصص القرآن الكريم، دكتوراه مخطوط، جامعة سطيف، 2018، ص202. و رايص نور الدين، نظرية التواصل واللسانيات الحديثة، ط1، فاس، المغرب، 2007، ص52.
- ¹⁵ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفارابي، تونس، 2001، ص29.
- ¹⁶ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفارابي، تونس، 2001، ص48. و حباشة صابر، التداولية والحجاج، ط1، سوريا، 2008، ص45، والعمرى محمد، في بلاغة الخطاب الاقتناعي، ط2، إفريقيا المشرق والمغرب، 2002، ص151.

-
- ¹⁷ العيساوي خليفة، الوصائل وتحليل المحادثة دراسة في استراتيجيات الخطاب، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2012.
ومحمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصل، ط1، إفريقيا الشرق والغرب، المغرب، 2009، ص123.
- ¹⁸ الزمخشري، تفسير الكشف عن حقائق التنزيل، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1، 124/2009. والسكاكي،
مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هندواوي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000، ص32.
- ¹⁹ الشهيري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتب الجديدة، ليبيا، 2004، ص23. و
صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، ط1، تونس، 2001، ص65.
- ²⁰ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص226.
- ²¹ الحبيب اعراب، الحجاج والاستدلال، مجلة عالم الفكر، العدد 11، 2011، ص100.